سلسلة

قصص في الآداب

٨

آداب العِلم

أشرف عبد الرؤف قدح





قصص آداب الإسلام

٨

قصص آداب العلم

إعداد
اشرف عبد الرؤوف قداح

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

التَّواضعُ

ظنَّ نبيُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام أَنَّهُ لا يُوجَدُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ أَعلَمَ منْهُ، فَأوحَى اللهُ إليهِ بأنَّ هُناكَ مَنْ هُوَ أعلَمُ منْهُ، ودلَّهُ علَى مكانِه، وأمرَهُ أنْ يَحملَ معَهُ حُوتاً، وَأخبرَهُ اللهُ بأنَّهُ سيُقابِلُ الرَّجلَ الصالِحَ العالِمَ في المَكانِ الذِي سَيفقِدُ فيهِ الحوتَ.

وفعلَ مُوسَى عليه السلام مَا أمرَهُ اللهُ بهِ، وسارَ إلى المَكانِ المُحدَّدِ علَى ساحِلِ البَحرِ.

وبعدَ فترةٍ مِنَ السَّيرِ، سَألَ مُوسَى خادِمَهُ عَنِ الحوتِ، فَقالَ الخادِمُ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣].

فَقالَ مُوسَى عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ورجعَ مُوسَى عليه السلام وخادِمُهُ إلى المَكانِ الذِي تركَا فيهِ الحوتَ، فَوجَدَا الرَّجلَ الصالِحَ العالِمَ "الخضرَ".

وتعلَّمَ مُوسَى منْهُ أشياءَ كثيرةً، لَمْ يكُنْ يَعلَمُهَا مِنْ قَبْلُ. [البخاري].

أمرَنَا اللهُ ـ سبحانهُ ـ بِأنْ نطلُبَ العِلْمَ دائِماً، مَهمَا بلغنَا مِنْ مَراتبِ العِلْمِ. قالَ تَعالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثَوابُ العلمِ

ذاتَ يـومٍ، دخـلَ رسـولُ اللهِ ﷺ المَسـجدَ، وَحـدَّث الصحابةَ الذينَ كَانُوا في المَسجِدِ، فَقالَ: «أَيُّكُـمْ يُحِـبُّ أَنْ يَغْدُو كلَّ يومٍ إلى بُطْحَانَ أو العقيقِ (مكانَان)، فَيأتِي بِناقتَينِ كَوْمَاوينِ (لهُمَا سَنامَانِ عَاليانِ، يَعنِي أَنَّهُمَـا مُتميزتَـانِ) فِـي غَيرِ إِثمٍ وَلا قَطْعِ رَحمٍ؟».

فأُعجِبَ الصَّحابةُ بهذَا العَرضِ الـذِي عَرَضَـهُ الرَّسـولُ عَليهِمْ، وَقالُوا: يَا رسولَ اللهِ كُلُّنَا نُحبُّ ذلكَ.

فَقالَ ﷺ : «أفَلا يَغدُو أَحدُكُمْ إلى المَسـجِدِ فـيَعْلَمَ أو يَقرأَ آيتينِ مِنْ كِتابِ اللهِ خيرٌ لهُ مِنْ نَاقتَيْنِ، وَثلاثـاً خَـيرٌ لَـهُ مِنْ ثلاثٍ، وَأربعاً خيرٌ لَهُ مِـنْ أربـعٍ، وَمِـنْ أعـدادِهِنَّ مِـنَ الإِبلِ» [مسلم].

قالَ عليٌّ بنُ أَبي طالبٍ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ : العِلْمُ خَيرٌ مِـنَ المَـالِ؛ العِلْمُ يَحرسُكَ وأنتَ تَحرسُ المالَ. [أبو نعيم في الحلية].

طَالبُ العِلْمِ

كَانَ قَبيصَةُ بنُ المُخارقِ رضي الله عنه شَيخاً كَبيراً، وَلكنَّ كِبرَ السِنِّ لَمْ يَمنعْهُ مِن طَلَبِ العِلْمِ.

وذَاتَ يومٍ، ذهبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فلَمَّا رآهُ ﷺ قَالَ لَهُ: «مَا جاءَ بِكَ؟!».

فَقالَ قُبيصَةُ: كَبُرَ سِنِّي، ورَقَّ عظمِي؛ فَأتيتُكَ لتُعَلِّمَنِي مَا يَنفَعُنِي اللهُ بِهِ.

ففرِحَ رسولُ اللهِ ﷺ بإقبالِ قُبيصَةَ على العِلْمِ وهوَ شيخٌ كبيرٌ؛ فَقالَ لهُ: «مَا مررتَ بحَجَرٍ وَلا شَجَرٍ وَلا مَدَرٍ (يعنِي الطُوبَ اللَّبِن) إلاَّ استغفرَ لكَ».

ثمَّ بدأَ الرَّسولُ ﷺ يُعلِّمُهُ مَا يَنفعُهُ، فَقالَ لَهُ: «يَا قُبيصَةُ! إذَا صلَّيتَ الصُّبحَ، فَقُلْ ـ ثلاثاً ـ: سُبحانَ اللهِ العَظيمِ وَبِحمدِهِ.. تُعَافَى مِنَ الْعَمَى وَالجذامِ وَالفَالِجِ، يَا قُبيصَةُ! قُلْ: اللهمَّ إنِّي أَسأَلُكَ ممَّا عندَكَ، وَأفضْ عليَّ منْ فضلكَ، وَانْشُرْ عليَّ منْ رَحمَتِكَ، وَأنزِلْ عليَّ مِنْ بَركتكَ» [أحمَد].

العِلْمُ طَرِيقٌ إلى مَعرِفَةِ اللهِ وَخَشيتِهِ، قَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

الرِّفقُ فِي التَّعلِيمِ

صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ يَوماً، فَعطَسَ رَجلٌ في أثناءِ الصَّلاةِ، فقالَ لهُ مُعاويةُ بنُ الحَكَمِ رضي الله عنه: يَرحمُكَ اللهُ. فنظرَ إليهِ بَعضُ النَّاسِ ليَسكُتَ. فقالَ مُعاويةُ لهُمْ: مَا لكُمْ تَنظرونَ إليَّ هكذَا؟!

فَضربَ الصَّحابةُ بأيديهِمْ علَى أفخاذِهِمْ؛ لِينبِّهُوهُ إلى عدمِ الكلامِ في الصَّلاةِ، فسكتَ.

وبعَدَ الصَّلاةِ، قالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ هذهِ الصَّلاةَ لا يَصلُحُ فِيهَا شيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّما هِي التَّسبيحُ وَالتَّكبيرُ، وقِراءَةُ القُرآنِ».

قَالَ مُعاويةُ: فَواللهِ مَا رأيتُ أحداً قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تَعلِيماً منْهُ؛ فَواللهِ مَا كهَرنِي (أي: مَا عَبسَ فِي وَجهِي)، وَلا ضَربَنِي، وَلا شتَمَنِي. [مسلم].

يجبُ على طالبِ العِلْمِ أن يستَفيدَ منْ ملاحَظاتِ العُلَماءِ، وعلَى المُعَلِّمِ أنْ يكُونَ رَفيقاً بالمُتَعلِّمِ مِنْ غيرِ تَهاونٍ، قَوِيّاً مِنْ غيرِ قَسْوةٍ.

حُبُّ العِلْمِ

طلَبَ الأطفالُ مِنْ زَميلِهِمْ أنْ يلعَبَ معَهُمْ؛ فرفَضَ، فلَمَّا أخذُوا يُلِحُّونَ عليهِ ويَحاوِلُونَ إجبَارَهُ على اللَّعبِ معهُمْ بكَى.

ورَآهُمْ شيخٌ كبيرٌ صَالحٌ، فاقترَبَ مِنهُمْ، وعرَفَ أنَّهُمْ يُريدُونَ أن يأخذُوا زميلَهُمْ لِيلعَبَ معَهُمْ، ولكنَّهُ كانَ يَبكِي لِيَترُكُوهُ كَي يتفرَّغَ لقراءةِ القرآنِ؛ التي كانَ يُفَضِّلُهَا على اللَّعبِ معَ أصحابِهِ.

أُعجِبَ الشَّيخُ بهذَا الصَّبيِّ، وذهَبَ إلى مُعلِّمِهِ وَوالِدِه، وقَالَ لَهُمَا: إنِّي أَرجُو أنْ يكُونَ هذَا الصَّبيُّ أعلَمَ أهلِ زمانِهِ وَأزهَدِهِمْ.

وَمنذُ ذلكَ اليومِ، اهتَمَّ والِدُ الصَّبيِّ بابنِهِ، وَفرَّغَهُ لطلَبِ العِلْمِ.

وَلمَّا كَبُرَ الصَّبيُّ أصبَحَ مِنْ كبارِ عُلَماءِ الدِّينِ.. إنَّهُ الإمامُ يَحيَى بنُ شَرَفِ النَّوَويُّ، صَاحِبُ كتابِ (رياضِ الصَّالحين)، وَشارِحُ صَحيحِ الإمامِ مسلمٍ.

إذَا أخطأَ المُعَلِّمُ في مسألةٍ مِنَ المسائلِ، فعَلَى المتَعلِّمِ ألاَّ يستَحِيْ، ويُراجِعَهُ فيسألَهُ عَنِ الخطإِ والصَّوابِ بأسلوبٍ مُهذَّبٍ.

إكرامُ العلماءِ

كَانَ صَحابةُ رسُولِ اللهِ ﷺ أشدَّ حِرْصاً على معرفةِ أُمورِ دِيْنِهِمْ، فَكانُوا يُقبِلُونَ على طلَبِ العِلْمِ، وَيواظِبُونَ على حُضُورِ مَجالِسِ العِلْمِ.

وقَدْ علَّمَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ احترامَ العُلماءِ واجِبٌ على كلِّ مُسلِمٍ ومسلِمَةٍ.

وَفي يومٍ مِنَ الأيَّامِ، صلَّى زَيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه على جنَازةٍ، ثُمَّ أحضرُوا لهُ بغلَتَهُ ليَرْكبَهَا.

فلمَّا رَأى الصَّحابيُّ الجَليلُ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ذلكَ، أسرَعَ وأمسكَ رِكَابَ البَغْلَةِ حتَّى يركَبَهَا زَيدٌ. فلَمَّا رأى زَيدٌ ذلكَ قَالَ: اترُكْهُ يا بنَ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ.

فَقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هكذَا نفعَلُ بالعُلماءِ وَالكُبَراءِ.

فَقبَّلَ زيدُ بنُ ثابتٍ يدَ ابنِ عبَّاسٍ، وقَالَ: هكذَا نفعَلُ بأهلِ بيتِ نبيِّنَا ﷺ. [الحاكم والطبراني].

يجبُ على المسلِمِ أنْ يحترِمَ مُعلِّمَهُ، ويُوَقِّرَهُ، ولَقدْ قالوا قديماً: مَن عَلَّمنِي حَرفاً، صِرْتُ لهُ عَبداً. وَيجُوزُ لِلمُسلمِ تَقبِيلُ يَدِ العُلماءِ وَالصَّالحينَ.

السَّعْيُ لِلعِلْمِ

فِي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ قَالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ لِصاحبٍ لَهُ مِنَ الأنصارِ: تعالَ نَسأَلْ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُمُ اليومَ كثيرٌ.

فَلَمْ يَستجبْ صاحبُهُ لدعوَتِهِ، وَتعجَّبَ مِنْ رغبَتِهِ فِي تلَقِّي العِلْمِ عَنِ الصَّحابةِ، وقَالَ لَهُ: عجَباً لكَ يَا بنَ عبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَفتَقِرُونَ إليكَ (يَحتاجُونَ إليكَ)، وَفِي النَّاسِ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ مَنْ فِيهِمْ؟!

فَلَمْ يهتَمَّ ابنُ عبَّاسٍ بمَا قالَهُ صاحِبُهُ، وظَلَّ يَطلُبُ العِلْمَ حتَّى أصبَحَ عالِماً يجتَمعُ النَّاسُ حولَهُ لِيسأَلُوهُ.

ولمَّا رأَى صاحِبُهُ الأنصاريُّ ذَلِكَ، قَالَ: هذَا الفتَى كانَ أعقَلَ مِنِّي. [الحاكم والطبراني].

قَالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنَّ الرَّجُلَ لا يُولَدُ عالِماً، وإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعلُّمِ. [ابن عبد البر].

الانتِظارُ

كانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ مِنْ أشَدِّ النَّاسِ حِرْصاً على طلَبِ العِلْمِ، ومِنْ أكثَرِهِمْ طَلباً لهُ.

وذاتَ مرَّةٍ، ذَهبَ ابنُ عبَّاسٍ إلى بيتِ أحدِ الصَّحابةِ؛ لِيَسألَهُ عنْ حديثٍ سمِعَهُ الصَّحابيُّ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ الوقتُ وقتَ رَاحةٍ، فلَمْ يَطْرُقِ ابنُ عبَّاسٍ البَابَ، وَقرَّرَ أنْ يَنتَظِرَ أمامَ البابِ حتَّى يَخرُجَ الرَّجلُ. ولَمَّا طالَ انتظَارُهُ، بَسَطَ رِدَاءَهُ، ونَامَ عَليهِ، وكانَتِ الرِّيحُ شَديدةً تُلقِي علَيهِ التُّرابَ.

وظلَّ ابنُ عبَّاسٍ هكذَا حتَّى خرَجَ الصَّحابيُّ مِنَ الدَّارِ. فلَمَّا رأى الصَّحابيُّ ابنَ عبَّاسٍ قالَ لهُ: يا بنَ عمِّ رسولِ اللهِ، مَا جاءَ بكَ؟! هَلاَّ أرسَلْتَ إليَّ فآتيَكَ؟!

فقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لا، أنَا أحَقُّ أنْ آتيَكَ. ثُمَّ سألَهُ عَن حديثٍ سَمِعَهُ الصَّحابيُّ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فلَمَّا أخبَرَهُ الصَّحابيُّ بِمَا سمِعَهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ عادَ ابنُ عبَّاسٍ رَاجِعاً.

مِنْ آدابِ طلَبِ العِلْمِ: عدَمُ مُقاطَعةِ المُعَلِّمِ أثناءَ الشَّرحِ، وإذَا سُئِلَ المُعَلِّمُ أثناءَ إلقائِهِ، فَعلَيهِ أنْ يُتِمَّ حديثَهُ، ثمَّ يُجِيبَ السَّائلَ.

لا حَرَجَ فِي العِلْمِ

كانتِ الصَّحابيَّاتُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ ـ يَذهَبْنَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يسألنَهُ عنْ أُمورِ الدُّنيَا وَالآخرةِ.

وكانَ كثيرٌ منهُنَّ يَستَحِي مِنْ سؤالِ الرَّسولِ، فَكانَ الحَيَاءُ يمنَعُهُنَّ عَن معرفةِ بعضِ الأُمورِ التي تَشغَلُ بَالَهُنَّ.

وذاتَ يومٍ، ذَهبَتْ أمُّ سُلَيمٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهَا ـ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، لِتسأَلَ عن مسألةٍ مِنْ مَسائلِ الدِّينِ، فَقالَتْ: يَا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ على المرأةِ مِنْ غُسْلٍ إذَا احْتَلَمَتْ؟

فَقالَ لهَا رسولُ اللهِ ﷺ: «إذَا رأَتِ الماءَ».

وكانتِ السَّيِّدةُ أُمُّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ حَاضِرةً، فَغَطَّتْ وَجْهَهَا ـ حَيَاءً وخجَلاً ـ وَقالَتْ: يَا رسولَ اللهِ! أَوَ تَحتَلِمُ المرأةُ؟! فَقالَ ﷺ: «نَعَم ـ تَرِبتْ يَمينُكِ ـ فَبِمَ يُشبِهُهَا ولَدُهَا؟!» [البخاري].

يَجبُ ألاَّ يَمنَعَ الحَياءُ المُتَعلِّمَ مِنْ طلَبِ العِلْمِ وسؤالِ مُعَلِّمِه، فإنْ لَمْ يَستطِعْ أَنْ يُغالِبَ حياءَهُ، فعلَيهِ أنْ يَطلُبَ مِنْ غيرِه أنْ يَسأَلَ نِيابةً عنْهُ.

الـرِّحَلَـةُ

كانَ الصَّحَابيُّ الجَليلُ جـابِرُ بـنُ عبـدِ اللهِ رضـي الله عنـه حَريصاً على جَمْعِ أحاديثِ الرَّسولِ ﷺ بعدَ وفاتِه.

وذاتَ مـرَّةٍ عَلِـمَ جـابِرُ أنَّ هنـاكَ حَـديثاً عنـدَ رَجُـلٍ مِـنَ الصَّحابةِ يسكُنُ الشَّامَ. فَاشترَى بَعيراً، وسَافَرَ إلى بلادِ الشَّامِ.

ولمَّا وصَلَ جابِرٌ إلى بيتِ الصَّحابيِّ، قَالَ لِخَادمِه: قُلْ لَهُ: جابِرٌ علَى البابِ.

فَخرَجَ إليهِ الرَّجُـلَ وَاحتَضَـنَهُ، فقـالَ جـابِرٌ: بَلَغَنـي أنَّـكَ سَمِعتَ حَـديثاً مِـنْ رسـولِ اللهِ ﷺ، فَخشِـيتُ أنْ تَمُـوتَ؛ أو أموتَ قبلَ أنْ أسْمَعَهُ.

فَرحَّبَ بهِ الرَّجُلُ، وَأخبَرَهُ بحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، فَفَـرِحَ بهِ جابِرٌ فَرَحاً شَديداً، ثُمَّ شكَرَهُ، وَركِبَ بَعيرَهُ عَائداً إلى بلادِهِ. [الطبراني].

أَنفَعُ العُلومِ مَا كانَ يُقرِّبُ مِنْ رِضَا اللهِ ـ سبحانَهُ ـ قَـالَ ﷺ: «مَـنْ يُـرِدِ اللهُ به خَيراً يُفقِّهْهُ في الدِّينِ» [البخاري].

العِلْمُ وَالتَّقوَى

كَانَ الإمامُ الشَّافِعيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ شديدَ الذَّكاءِ، قَويَّ الحفْظِ. وَيحكِي البعضُ أنَّهُ كانَ إذَا قرأَ كِتاباً خبَّأَ الصَّفْحةَ المُقابِلةَ بيَدِهِ حتَّى لا يَختَلِطَ حِفْظُ الصَّفحةِ اليُمنَى معَ الصَّفحةِ اليُسرَى؛ فكانَ سَريعَ الحِفْظِ، قَوِيَّ الذَّاكِرَةِ.

وذَاتَ يومٍ، ذهَبَ الشَّافِعيُّ إلى أُستاذِهِ وكيعٍ، وشكَا إليهِ أنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَحفَظُ العِلْمَ جيِّداً كمَا كانَتْ عادَتُهُ.

فَكَّرَ وكِيعٌ لحظةً، ثُمَّ قَالَ لِلشَّافعيِّ: إنَّ سبَبَ سُوءِ حِفْظِهِ رُبمَّا كانَ بسببِ ارتكابِهِ مَعصيَةٍ تُغضِبُ اللهَ.

وفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّافعيُّ:

شَكَوْتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأرشَدَنِي إلى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأخبَرَنِي بأنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُهْدَى لِعَاصِي

العِلْمُ فَضْلٌ وَرِزقٌ يَهَبُهُ اللهُ سبحانَهُ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ، خاصَّةً الأتقِياءَ؛ قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

شَجاعةُ المتَعلِّمِ

كانَ رسولُ الله ﷺ يَجلِسُ ذاتَ يومٍ معَ أصحابِه، فَقالَ لَهُمْ: «إنَّ مِنَ الشجَرِ شجرةً لا يَسقُطُ ورَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسلِمِ.. حَدِّثونِي مَا هِيَ؟».

فَكَّرَ الحَاضِرُونَ لَكنَّهُمْ لَمْ يَعرِفُوهَا، وكانَ عبدُ الله بنُ عمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - حَاضِراً، فَقالَ في نفسِهِ إنَّهَا النَّخْلَةُ، وَاستَحيَا أنْ يُجيبَ عنِ السُّؤالِ، وَفي المَجلِسِ مَنْ هُوَ أكبرُ منْهُ.

فقالَ النَّاسُ: يَا رسولَ الله! أخبرْنَا بِهَا. فَقَالَ ﷺ: «هِيَ النَّخلَةُ».

وَبعدَ ذَلِكَ أخبَرَ عبدُ الله أبَاهُ عُمرَ - رَضيَ اللهُ عَنْهُمَ - بَما دارَ في نفسِهِ، فَقالَ عُمَرُ: لأَنْ تَكُونَ قُلتَهَا أحَبُّ إليَّ. [البخاري].

يَجبُ علَى مَنْ عَلِمَ عِلْماً أَنْ ينفَعَ بِهِ مَنْ لا يَعلَمُهُ، قَالَ ﷺ: «... لِيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائِبَ؛ فإنَّ الشَّاهِدَ عسَى أن يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» [البخاري].

العِلْمُ الوَاضِحُ

كَانتِ السَّيِّدةُ عَائشةُ ـ زوجَةُ النَّبيِّ ﷺ ـ تُحِبُّ العِلْمَ، وإذَا جَهِلَتْ شَيئاً سَألتْ عَنْهُ ورَاحَتْ تسألُ فِيهِ حتَّى تَعرِفَهُ بِوُضوحٍ.

وذاتَ مرَّةٍ، سَمِعَتِ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ».

فَقالَتْ لَهُ السَّيِّدةُ عَائِشةُ: أوَلَيسَ اللهُ تَعالَى يَقولُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨].

فَقالَ ﷺ: «إنَّما ذَلكَ العَرْضُ (أي: أنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ على كلِّ إنسانٍ فَيتَذكَّرُهَا.. دُونَ أنْ يُحاسَبَ عَليهَا)، ولَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهْلَكُ» [البخاري].

يَجِبُ على المُتعلِّمِ أنْ يَفهَمَ مَا يتَلقَّاهُ مِنَ العِلْمِ جيِّداً؛ فَإذَا صَعُبَ عليهِ شيءٌ، فَعليهِ أنْ يسألَ المُعَلِّمَ، ويَطْلُبَ منْهُ شَرْحَ الصَّعْبِ مرَّةً أخرَى، حتَّى يَستَوضِحَ الغَامِضَ.

الثَّلاثةُ وَالعِلْمُ

فِي يَـومٍ مِـنَ الأَيَّـامِ، جَلَـسَ الـنَّبيُّ ﷺ في المَسـجدِ مـعَ أصحابِهِ في مجلِسِ عِلْـمٍ، فمَـرَّ ثلاثـةٌ مِـنَ النَّـاسِ علـى بـابِ المسجدِ، ورَأى أحدُهُمْ مكاناً خَالياً وَسَطَ الحَلْقةِ التي يَجلِـسُ فِيهَا الصَّحابةُ؛ فَاتَّجهَ إليهِ، وَجلَسَ فيهِ، حِرْصاً منْهُ على سَمَاعِ العِلْمِ وَالاستِفادةِ منْهُ.

ودَخَـلَ الرَّجُـلُ الثَّـانِي، فَجَلَـسَ في مكَـانٍ بَعيـدٍ خَلْـفَ الحَلْقةِ.

وأمَّا الرَّجُلُ الثَّالثُ فَقَدِ انصرَفَ ولَمْ يَحضُرْ مَجلِسَ العِلْمِ.

فلَمَّا أنْهَى الرَّسولُ ﷺ حديثَهُ، قَالَ: «أَلاَ أُخبِرُكُمْ عنِ النَّفَـرِ الثَّلاثة: أمَّا أحَدُهُمْ؛ فَأوَى إلى اللهِ؛ فآوَاهُ اللهُ (يعني: الذِي اقتَرَبَ حِرْصاً عَلى العِلْمِ). أمَّا الآخَـرُ، فَاسـتَحْيَا مِـنَ اللهِ، فَاسـتَحْيَا اللهُ منْهُ، أمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللهُ عنْهُ» [البخاري].

يَعنِي: أنَّ اللهَ أعطَى كُلاًّ مِنْهُمْ ثَواباً بِقَدْرِ إقبالِهِ على العِلْمِ.

طَلَبُ العِلْمِ وَالإِقبالُ على التَّعَلُّمِ فَرِيضةٌ على كـلِّ مُسـلِمٍ. وَاللهُ سَيَسْـأَلُ كُلاًّ مِنَّا عنْ عِلْمِهِ: ماذَا فعَلَ بهِ.

آدابُ طَلَبِ العِلْمِ

العِلْمُ فَضْلٌ مِنَ اللهِ، يَهَبُهُ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وَلِطَلَبِ العِلْمِ آدابٌ، حرَصَ النَّبيُّ ﷺ على أنْ يُعَلِّمَنَا إيَّاهَا؛ حتَّى نستَطيعَ أنْ ننتَفعَ بِمَا تعلَّمنَاهُ، وَأنْ نَنْفَعَ مُجتَمَعَنَا به.

وعلَى طالبِ العِلْمِ أن يُقْبِلَ على فَهْمِ أسرارِ هـذَا العِلْمِ، وَيحتَرِمَ مُعلِّمَهُ، ويَحرَصَ على أن يَجعلَهُ قُدْوَةً لَهُ في كُلِّ خَيرٍ يَعْلَمُهُ.

وَعلى طالبِ العِلْمِ أنْ يَحْرَصَ على أنْ يَنفَعَ النَّاسَ بما آتَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وبِمَا استَودَعَهُ مِنْ أسرارِ ذلكَ العِلْمِ.

وَهذِهِ بعضُ القَصصِ التِي تُوضِّحُ لنَا بعضَ الآدابِ التي يجبُ أنْ يتَحلَّى بهَا طالبُ العِلْمِ؛ حتَّى يُبارِكَ اللهُ لَهُ فيمَا تعلَّمَهُ، فَيَحصلَ بذلكَ علَى خَيرِ الدُّنيا وَخَيرِ الآخِرَةِ.

* * * * *

سلسلة قصص في الآداب

١ آداب الطعام والشراب
٢ آداب اللعب و المزاح
٣ آداب المساجد
٤ آداب العمل
٥ آداب النصيحة
٦ آداب التحية
٧ آداب الزيارة
٨ آداب العلم
٩ آداب الذكر
١٠ آداب الدعاء
١١ الأدب مع الله عز وجل
١٢ الأدب مع الرسول ﷺ
١٣ آداب الطهارة
١٤ آداب الكلام
١٥ آداب اللباس
١٦ آداب السفر و الطريق
١٧ آداب النوم
١٨ آداب الأعياد و الأفراح

٨١٠٠٥٥